

ظاهرة الإبدال عند "ابن جني" في كتاب سر صناعة الاعراب - إبدال الهمزة أنموذجا -

The phenomenon of substitution according to "Ibn Jinni" in the book "the Secret of the Art of Syntax" - Substitution of the Hamza as a model

ط.د. تارقي دحمان⁽¹⁾ . د. أقادير وريدة⁽²⁾

⁽¹⁾ كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية جامعة الجزائر 2، (الجزائر)

dahmane.targui@univ-alger2.dz

⁽²⁾ كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية جامعة الجزائر 2، (الجزائر)

o.kechroud@univ-alger2.dz

تاريخ القبول: 2025/03/16

تاريخ الإستلام: 2025/02/14

الملخص:

يتحدث المقال عن ظاهرة إبدال الهمزة عند "ابن جني" من خلال كتابه سر صناعة الاعراب كأنموذج لظاهرة الإبدال والتي تعتبر من أحد مباحث المستوى الصرفي، حيث تمّ التعريف بالظاهرة، وبيان أنواعها، وتحديد الغاية منها، وأهمّ القواعد التي تعتمد عليها عند القدماء، وأخير وقفنا على حالات أبدال الهمزة عند "ابن جني" بشيء من الشرح والتفصيل، ومن أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث أهميّة ظاهرة الإبدال في النظام الصرفي والصوتي على حد سواء لما تحقّقه من تخفيف وسهولة في النطق، كما أنّها تعد من أشكال الاقتصاد اللغوي، وتضمن تجانس الأصوات مع بعضها البعض.

الكلمات المفتاحية: الإبدال، الهمزة، علم الأصوات، وعلم الصرف.

Summary:

The article talks about the phenomenon of substitution of the Hamza according to "Ibn Jinni" as a model for the phenomenon of substitution, which is considered as one of the topics of the morphological level, where the phenomenon was defined, its types were stated, its purpose was determined in addition to the most important rules that were relied upon by the ancients. Finally, we stopped at the cases of substitution of the Hamza according to "Ibn Jinni" with some explanations and details. The most important result that the research reached is the importance of the phenomenon of substitution in the morphological and phonetic system alike; as it makes pronunciation easier and more comfortable, as it is considered one of the forms of linguistic economy, and ensures the homogeneity of sounds with each other

Keywords: Substitution, Hamza, phonetics, and Morphology

* المؤلف المرسل.

المقدمة:

تعدّ ظاهرة الإبدال من الظواهر الصّرفيّة التي تنضوي تحت المستوى الصّرفي وهذا الأخير يعدّ من أهمّ المستويات اللّغوية وأجلّها قدراً لما يحظى به من المكانة في بناء النّظام اللّغوي فالمستوى الصّرفي يعتمد في الأساس على بنية الكلمة وهذه الخيرة تأتي في المرتبة الثّانية من التّصنيف الّذي اختاره الباحثون لمستويات النّظام اللّغوي بعد المستوى الصّوتي والّذي يختصّ بدراسة الأصوات، ثمّ يليه المستوى الصّرفي الّذي يعنى ببنية الكلمة، وهذين المستويين تحديداً يكملان بعضهما البعض في هذه الدّراسة، كما هو الحال بالنّسبة لباقي المستويات اللّغويّة الّتي يخدم بعضها بعضاً حتّى يتحقّق للغة وجودها لتؤدي وظائفها بشكل سلس لذلك لا يمكن أن يتفرّد مستوى دون غيره من المستويات بالنّظام اللّغوي الشّامل، ومن أهمّ المباحث التي يتناولها المستوى الصّرفي ظاهرة الإبدال فهي من الظّواهر التي يستعان بها في بناء الكلمات ومعرفة أصولها التي بنيت عليها وما لحقها من تغيير وتبدل وفقاً لما تقتضيه الضّرورة وتدعو إليه الحاجة. ومن خلال هذه الورقة البحثيّة نسعى لدراسة ظاهرة الإبدال عند "ابن جني" من خلال كتابه سر صناعة الاعراب وتحديد إبدال الهمزة. لذلك فإنّنا نصيغ إشكاليّة البحث على النّحو التّالي: كيف ناقش "ابن جني" إبدال الهمزة؟ وما هي تعليلاته لذلك من خلال كتابه "سر صناعة الاعراب"؟.

وقبل أن نقوم بعرض نماذج إبدال الهمزة عند ابن جني من خلال كتابه سر صناعة الاعراب تجدر الإشارة إلى أنّ ابن جني من خلال هذا الكتاب قد تناول دراسة الحروف وهي مفردة غير مركبة، وقد تطرق لما يعتريها من مظاهر كالإبدال والزيادة ومتى تكون أصلاً، ومتى تأتي فاء أو عينا أو لاماً للكلمة. لذلك سنحاول الوقوف على بعض النماذج لظاهرة الإبدال مع بعض الحروف التي تأتي مبدلة ومنها الهمزة التي نسعى لدراستها وبيان حالات إبدالها.

1- تعريف الإبدال

أ- لغة: كما جاء في العديد من المعاجم وكتب اللّغة هو «أبدلت الشّيء بغيره وبّدله الله من الخوف أمنا وتبديل الشّيء بغيره وإن لم تأت ببدل واستبدل الشّيء بغيره وتبدّل به إذا أخذ مكانه، والمبادلة التّبادل والأصل في التّبديل تغيير الشّيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل الشّيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله والعرب تقول للذي يبيع كلّ شيء من المأكولات بّدال» (ابن منظور، سنة)

وجاء في المعجم الوسيط: «بّدل الشّيء غيّر صورته، ويقال بّدل الكلام حرّفه وبّدل بالثّوب القديم الثّوب الجديد بإدخال الباء على المتروك، والشّيء شيئاً آخر بّدله مكان غيره ومنه جعله بّدله وفي التّزليل العزيز ﴿واذا بدلنا ايه مكان ايه﴾» (مجمع اللغة العربيّة، 1972)

وجاء في الكشف «البّدل بسكون الدّال المعملة مع فتح الباء وكسرهما هو القائم مقام الشّيء والبدل مثله، الأبدال والبّدلاء الجمع على ما في الصّراح والمذهب وكذا البّدل بفتحيتين كما في قوله تعالى ﴿بئس للظّالمين بدلاً﴾» (التهانوي، 1996)

والمعنى ذاته أشار إليه "الفيومي" بقوله: «البّدل بفتحيتين والبدل بالكسر والبدل كلّها بمعنى والجمع أبدال وأبدلته بكذا إبدالاً نَحَبْتُ الأوّل وجعلت الثّاني مكانه وبّدلته تبديلاً بمعنى غيّرته تغييراً» (الفيومي، 2008)

فالبدل في اللّغة يعني تغيير الشّيء بآخر وإبداله منه وهذا ما تجمع عليه التعاريف رغم اختلافها.

ب- اصطلاحاً: يرى "ابن الحاجب أنّه: «جعل حرف مكان حرف غيره» (ابن الحاجب، 1995)

ويقول "التهانوي": «وعند الصّرفيّين هو الحرف القائم مقام غيره» (التهانوي، 1996)، ويقول "إبراهيم محمد نجا": «درج الصّرفيّون على تعريفه بأنّه جعل حرف مكان آخر مطلقاً ولعلّ اقتصارهم على الحروف لأنّ نظرهم إلى الكلمة من جهة التّغيير الّذي يلحق فقصرها التّغيير عليه» (إبراهيم محمد نجا، 2008)

ومن خلال هذه التعريفات يتبين أن الإبدال ظاهرة لغوية صرفية تخص الحروف بحيث يقوم حرف مقام آخر» وهكذا يفهم المتلقي ضمناً من خلال هذه العبارة التوضيحية أن الإبدال يختص بحروف معينة وهي المسماة حروف الإبدال وليس يشمل كل الحروف العربية» (عبد القادر بدرون، 2015)

ولقد أفرد "ابن جني" في كتابه الخصائص باباً بعنوان الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه مشيراً إلى موجبات ذلك الإبدال وكيف يكون وهذا ما يفهم من قوله: «فإن دلّ دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة» (ابن جني، 2008)

2- صور الإبدال:

لقد أحصى "تمام حسان" عدة صور للإبدال وهي كما يلي:

أ- «إبدال الصحيح بالصحيح كببدال الطاء من تاء الافتعال إذا كانت فاؤه حرفاً مطبقاً وهو الصاد والضاد والطاء والظاء، وببدال الدال بهذه التاء إذا كانت فاء الكلمة دالاً أو ذالاً أو زياً فمثال الأربعة الأوائل: اضطرب واضطر وأطلع واطظلم، ومثال الثلاثة الأخيرة اذان وأذكر وازداد.

ب- إبدال الصحيح باللين وذلك كببدال الهمزة بالواو والياء في كساء وقائل وصحائف وقوائل وببدال الهمزة أيضاً بأولى الواوين في أول الكلمة مثل: أوائل، وأوراق وأواصل والأولى. ومن ذلك أيضاً إبدال التاء بالواو إذا كانت الواو فاء للافتعال نحو اتكل.

ج- إبدال المد بالصحيح: كجعل ثنائية الهمزتين حيث تكون ساكنة في الكلمة نفسها مداً بحركة أولها نحو: أثر، وإيتمن.

د- إبدال اللين باللين كجعل الواو ياء في رضي وحديّة، وعبادة وديار وحياض وأعطيت وليّ ونيم وعصي وكجعل الياء واواً في موسر وقضو، ومرمؤه، ورموان، و خوري، وتقوى وحزوى

هـ- إبدال اللين بالمد كجعل الألف ياء في غزيل.

و- إبدال المد بالمد كجعل الألف ياء مدّ في دنائير ومصاييح وجعلها واواً ممدودة في بويح وقوتل» (تمام حسان، 1994)

3- قواعد الإبدال عند القدماء: لقد أحصى الدارسون الكثير من القواعد للإبدال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

أ- إبدال التاء من الواو:

ونجد من ذلك ما أشار إليه "ابن جني" حيث يقول: «فأما ما نقيس عليه لكثرتة فافتعل وما تصرف منهم إذا كانت فاؤه واوًا، فإنّ واوه تقلب تاء وتدغم في تاء افتعل التي بعدها وذلك نحو: اتزن أصله أوتزن فقلبت الواو تاء وأدغمت في تاء افتعل فصارت اتزن والعلّة في قلب هذه الواو في هذا الموضع تاء أنّهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقولون: ايتزن، وإذا انضم ما قبلها ردت إلى واو فيقولون: مُوتزن وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفاً فقالوا يا تزن فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين من قبلها مرة ياء ومرة ألفاً ومرة واوًا أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلدًا تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله وكانت التاء قريبة المخرج من الواو لأنّها من أصول الثنايا، والواو من الشّفة فأبدلوها تاء» (ابن جني، 1993)

ب- إبدال التاء من الياء:

يقول "سيبويه": «والياء توافق الواو في افتعل في أنّك تقلب الياء تاء في افتعل من اليُس يقول اتبس ومتبس ويتبس لأنّها قد تقلب تاء ولأنّها قد تضعف ههنا فتقلب واو ولو جاءوا بها على الأصل، في مفتعل وافتعل وهي موضع الواو وهي أختها في الاعتلال فأبدلوا مكانها حرفاً هو أجلد منها، حيث كانت فاء وكانت أختها فيما ذكرت لك فشبهوها بها» (سيبويه، 1988)

ج- إبدال الدال من التاء:

وفي هذه الحالة تبدل الدال من التاء في افتعل إذا كانت فاء افتعل أحد ثلاثة أحرف هي:

الزاي، والدال، والذال ويقول "ابن عصفور" معللاً سبب هذا الإبدال: «بأن الزاي مجهورة والتاء مهموسة والتاء شديدة والزاي رخوة فتباعد ما بين الزاي والتاء ففقرّبوا أحد الحرفين من الآخر ليقرب النطق بهما فأبدلوا الدال من التاء، لأنّها أخت التاء في المخرج والشدة وأخت الزاي في الجهر» (ابن عصفور، 1987)

د- إبدال الطاء من التاء:

ويشترط في ذلك أن تكون فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً يقول "سيبويه": «الطاء منها يعني التاء في افتعل إذا كانت بعد الضاد في افتعل نحو: اضطهد وكذلك إذا كانت بعد الصاد في مثل اضطبر وبعد الطاء في هذا» (سيبويه، 1988)

أما "ابن جني" فيقول: «وأما البديل فإن تاء افتعل إذا كانت فاؤه صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً تقلب الطاء البتة وذلك قولهم من الصبر: اضطبر، ومن الضرب اضطرب، ومن الطرد اضطرد ومن الظهر اضطهر بحاجتي وأما اضطرد فليس الإبدال فيه من قبل الإدغام، وإنما هو لأنّ قبلها حرفاً مطبقاً» (ابن جني، 1993)

ويبين "الاستريادي" علّة وسبب هذا الإبدال بقوله: «إذا كان فاء افتعل أحد الحروف المطبقة المستعلية وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء، وذلك لأنّ التاء مهموسة لا إطباق فيها، وهذه الحروف مجهورة مطبقة، فاختاروا حرفاً مستعلياً من مخرج التاء وهو الطاء فجعلوه مكان التاء لأنّه مناسب للتاء في المخرج والصاد والضاد والطاء في الإطباق» (الاستريادي، 1982)

4- غايه الإبدال وفائدته:

الإبدال كظاهرة صرفيّة أو صوتيّة استعملته العرب في كلامها بسبب الحاجة فكانت له عدّة غايات نذكر منها:
أ- الخفة: وكما هو معلوم فإن العرب تميل إلى التّخفيف وتبتعد عن الثّقل فكلّ ما يحقق الخفة في كلامهم كانوا يأتونه سواء كان مظهرًا من المظاهر الصوتيّة أو الصرفيّة وغيرها يقول "سيبويه": «وقالوا في مفتعل من صَبَرْتُ مُصْطَبَرٌ. أرادوا التّخفيف حين تقاربها ولم يكن بينهما إلّا ما ذكرت لك. يعني قرب الحرف، وصاروا في حرف واحد ولم يجز إدخال الضاد فيها لما ذكرنا من المنفصلين فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد وهي الطاء ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد من الحروف وليكون عملهم من وجه واحد» (سيبويه، 1988)، وهذا ما يراه "ابن جني" كذلك حيث اعتبر أنّ الغاية من الإبدال هي الخفة (اخلاص حسن محمد حامد، 2024)

ب- التّقريب بين الأصوات: وهذا يعني أن الإبدال يساهم في تقريب الأصوات من بعضها البعض كي يتحقّق لها شيء من التّجانس وابعاد التّنافر بينها فكلّما تقاربت الأصوات من حيث الصّفات والمخارج كان ذلك أدعى إلى تجانسها وتآلفها وأبعد لها عن التّنافر وهذا ما يوضّحه القول التّالي: «بينما غايه الإبدال عند "ابن يعيش" هي التّقريب بين الأصوات والتّجانس بينها والتّقليل من التّنافر حيث يقول: إنّما وجب إبدال تاء افتعل دالا إذا كان فاؤه زايًا أو دالا أو ذالا لما ذكرناه من إرادة تجانس الصّوت وكراهيّة تباينه وذلك لأنّ الزاي والدال والدال حروف مجهورة والتّاء حرف مهموس فإذا أبدلوا من التّاء دالا لأنّها من مخرجها وهي مجهورة فتوافق بجهرها زاي والدال والدال ويقع العمل من جهة واحدة» (اخلاص حسن محمد حامد، 2024)

ويقول "الشريف الجرجاني" في كتابه التعريفات: «الإبدال أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثّقل» (الجرجاني، 1998).

ج- الاقتصاد: وهذا ما أشار إليه "عبد الصبور شاهين" بقوله: «ومن الحقائق المسلّمة أنّ ظاهرة الإبدال بصفة عامة لا تحدث إلّا على أساس التّقارب بين الأصوات المتتالية، وإنّ الغاية منه تحقيق نوع الاقتصاد في عمليات النّطق المتتالية» (عبد الصبور شاهين، 1977)

إذن فالغاية من ظاهرة الإبدال كما هو واضح التّخفيف والتّجانس والبعد عن الثّقل والتّنافر وهذا هو ديدن العرب.

5- أنواع الإبدال: ينقسم الإبدال إلى قسمين هما:

أ- الإبدال المطرد أو القياسي: « هو الإبدال الذي يسير على نمط مطرد أو ثابت وله قوانين وشروط عامة متى وجب أو حدث الإبدال، وهذا هو الإبدال الصّرفي الشائع أو الضروري أو اللازم، وهو من صميم دراسة التصريفين ولم يدرسه اللغويين لأطراده وعدم اختلاف اللهجات فيه» (عمر بوبقار، 2015)، وهو أيضا: «إبدال قياسي مطرد وهو ما يسمى بالإبدال الشائع أو الضروري، أو الصّرفي ويقوم على قواعد معينة، وله أحرف محدّدة (هدأت موطيا) كما قالها ابن مالك وغيره» (اخلاص حسن محمد حامد، 2024).

ب- الإبدال السّماعي: وهو الذي لا يخضع لقاعدة أو قانون يضبطه ويقاس عليه بل يحكمه السّماع وهو شديد الصّلة بالتّعّدّد اللّهي، ويختلف في اللّغة الواحدة باختلاف القبائل (عمر بوبقار، 2015). وهذا النوع عادة ما يكون في المعاجم اللّغوية أين يتمّ استبدال صامت بصامت آخر دائما مثل صقر، وزقر، سقر فهذا الإبدال ناتج عن الاختلاف اللّهي وتعدّد اللغات.

ت- الإبدال الشاذ: وهو خلاف لسابقه فإن كان القياسي محكوم بضوابط وقواعد محدّدة يُرجع إليها كلما دعت الضّرورة إلى ذلك، وإن كان السّماعي مسموع عن العرب باختلاف لغاتها، فإنّ الشاذ هو خلاف لكل ذلك لأنّه غير ضروري كقولهم في أصيلان أصيلا حيث أبدلت التّون لاما، وهذا ليس من القياس في شيء ولا يسمع في كلام العرب، وأيضا قولهم في اضطجع الطّجّع وغير ذلك. فيعتبر هذا النوع شاذا والشاذ يحفظ ولا يقاس عليه، وأمّا علّة حفظه فكونه صادر من عربي فصيح يعتد بفصاحته كالنّابغة الذبياني الذي ذكر أصيلا في قوله:

وقفت أصيلا لأسائلها *** أعييت جوابا وما بالربع من أحد

فكما هو واضح وسبقت الإشارة إليه أبدل التّون لاما (الحملوي، 1999).

6- إبدال الهمزة عند ابن جني في كتاب سر صناعة الاعراب:

وقبل أن نستعرض مواضع وحالات إبدال الهمزة في كتاب سر صناعة الاعراب حري بنا أن نشير إلى أنّ حرف الهمزة بأنّه: «حرف شديد مجهور على رأي القدماء، ومخرجها أقصى الحلق، والمحدثون يذكرون أنّه حرف شديد إلّا أنّ بعضهم جعله مهموسا وبعضهم قال أنّه لا هو بالجهر ولا هو بالهمس، ومخرجها الحنجرة ذاتها» (النعيبي، 1980). أمّا الهمزة كصوت فيرى النّحاة أنّها من حروف العلّة وإن كان الأمر في الحقيقة على غير ذلك، والذي دفعهم إلى ذلك هو أنّهم لم يتمكنوا من الفصل بين الهمزة والألف رغم إدراكهم للفرق بينهما من ناحية النّطق، والدليل على ذلك هو أنّهم أسموها باسم يتطابق مع وصفها فالهمزة تعني الضّغط، أو التّبر وهذا ما تتصّف به الهمزة فعلا (أحمد دحمان، 2010)، ويرى "الياس خاتري": "أنّ ما استدركه هؤلاء على القدماء هو إخراج الهمزة من دائرة خوف اللّين واعتبارها من الصّوامت أسوة بباقي الأصوات الصّامتة حيث تبعد عن حروف المدّ في المخرج بناء على التّصنيف الفونيتيكي الحديث، ويعتبر استعمال الجذور الصّامتة كوحدة للتحليل اللساني أصل تمّ تأصيله من قبل النّحاة كسيبويه، وابن جني خاصّة في الجذور المتضمّنة لحروف الهمزة كصوت أصلي في بنيتها» (إلياس خاتري، 2020)، والهمزة هي أوّل حرف درسه ابن جني وقال فيه: «اعلم أنّ الهمزة حرف مجهور، وهو في الكلام على ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزائد» (ابن جني، 1993). فهذه إشارة للحالات التي تكون عليها الهمزة، وسيكون تركيزنا على البديل يعني إبدال الهمزة والحروف التي تبدل منها بحسب ابن جني الذي يرى تبدل من خمسة أحرف هي اللف، والياء، والواو، والهاء، والعين وهذا واضح في قوله: «وأما البديل فقد أبدلت الهمزة من خمسة أحرف، وهي: الألف والياء والواو والهاء والعين» (ابن جني، 1993) فالهمزة يمكن أن تبدل من الحروف السّابقة وفيما يلي سنقف على كل حرف نستعرض ما ذكره "ابن جني" من أمثلة وشواهد على إمكانيّة إبداله من الهمزة.

أ- إبدال الهمزة من الألف:

وتكون الهمزة بدلا من الألف ومثال ذلك ما حكى عن "أبي أيوب السّخّتياني" أنّه قرأ «ولا الضّالّين» فهمز الألف، أي أنّه جعل عليها همزة لتقرأ ألف المدّ مهموزة كما هو مبين في الرّسم والعلّة في ذلك أنّه كره اجتماع السّاكنين اللف واللام

الأولى فحرك الألف لالتقاءهما فانقلبت همزة لأنّ اللف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة كما قدّمنا من وصفه فإذا حرك للضرورة فإنّه يقلب إلى أقرب الحروف منه، وهو حرف الهمزة (ابن جني، 1993). ومن الأمثلة التي ذكرها "ابن جني" أيضاً: شَأْبَةٌ، ومَأْدَةٌ. فهذه الأمثلة وغيرها تؤكد إبدال الهمزة من الألف وهذا ما دأبت عليه العرب في كلامها، «وحكى "أبو العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال سمعت عمرو بن عبّيد يقرأ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول: شَأْبَةٌ ودَأْبَةٌ» (ابن جني، 1993). ويرى "النعمي" في تفسيره لإبدال الهمزة من الألف في منظور الدرس الحديث أنّ اللغة تسعى إلى التخلّص من النطق بالصوت الطويل في المقطع المقفل وهو ما يحدث تقريباً في قراءة "الضّالّين" بالهمز محاولة للتخلّص من المقطع الطويل وذلك بتحويل الألف إلى حركتين قصيرتين بينهما همزة كما هو الحال في كلمة رَامَ التي مرّت بعدّة مراحل إلى أن صارت على ما هي عليه وهي: الرامي: رَامِيْنُ - أو رَامِيْن - رَامِيْن - رَامٍ. (النعمي، 1980).

ويضيف مثلاً آخر عن إبدال الألف همزة حيث يقول: «وحكى "سيبويه" عنهم في الوقف: "هذه حُبْلًا" يريد: حبلى. و"رايت رجلاً" يريد: رجلاً فالهمزة في "رجلاً: إنّما هي بدل من الألف التي هي عوض من التنوين في الوقف، ولا ينبغي أن تحمل على أنّها بدل من التّون لقرب ما بين الهمزة والألف وبعد ما بينها وبين التّون، ولأنّ "حبلى" لا تنوين فيها، وإنّما الهمزة بدل من الألف البتة فكذلك ألف "رايت رجلاً"، وحكى أيضاً: "هو يضربها". وهذا كله في الوقف فإذا وصلت قلت: هو يضربها يا هذا. ورايت حبلى أمس» (ابن جني، 1993)، فالملحوظ أنّ الألف أبدل همزة في كل من حبلى، رجلاً، ويضربها ويعلّل ذلك بأنّ الهمزة في رجلاً هي بدل من الألف والتي جاءت عوضاً من التنوين الذي في رجلاً؛ يعني عند الوقف يحذف التنوين ويبدل ألفاً كقولك جاء رجلاً بدلاً من جاء رجلٌ أو مررت برجلاً عوضاً عن رجلٌ ورجل، وهكذا ومنه فاللف بدلاً من التنوين المحذوف فيحال الوقف. ويرفض "ابن جني" أن تعتبر الألف بدل من التّون والسبب في ذلك هو قربها من الهمزة من الألف حسب رأيه، وبعدها من التّون، أمّا بالنسبة لحبلى فهو يرى أنّها لا تنون والهمزة عنده بدل من الألف قطعاً.

إبدال الهمزة من الياء والواو:

وفي هذه الحالة نجد أنّ "ابن جني" قد أشار إلى ضربين من الإبدال الأوّل في حال كون الياء والواو أصليين، والثاني في حال كونهما زائدتين.

- أمّا الأوّل: فمثاله: «نحو قولك في وجوه، أجوه، وفي وعد أعد، وفي وقّيت، أقّيت، وكذلك كلّ واو انضمت ضماً لازماً فهمزها جازز، وقالوا: قطع الله أيديّه، يريدون يدّه. فردّوا اللّام، وأبدلوا الفاء همزة» (ابن جني، 1993)، وهكذا يتبيّن لنا من خلال قول "ابن جني" كيف تبدل الهمزة من الواو وذلك يعني أنّ الواو تكون أصلاً في الكلمة كما هو الحال في كلمة وعد السابقة؛ فالواو أصلية وأبدلت همزة لتصبح الكلمة أُعدَ وهكذا والعلة في ذلك حسب "ابن جني" هو الضمّ اللازم الذي كانت عليه الواو، أمّا بالنسبة للياء فهي أيضاً أصلية في الكلمة وأبدلت همزة كما في كلمة يد التي أصبحت أيد بعد إبدال الياء همزة. وقلب الواو ذلك مذهب "الفراء" حيث يقول "رمضان عبد التّواب": «كما يقول الفراء كذلك: وإذا الرّسل أقّيت، أجمع القراء على همزها، وهي في قراءة "عبد الله" وقّيت بالواو... وإنّما همزت لأنّ الواو إذا كانت أوّل حرف وضمت همزت... لأنّ ضمة الواو ثقيلة كما كان كسر الياء ثقيلًا» (رمضان عبد التّواب، 1996).

ويضيف "ابن جني" أيضاً تفصيلاً بديعاً لما أشار إلى إبدال الواو في حالتي الكسر والفتح، أي إذا جاءت الياء مكسورة أو مفتوحة، وهذا ما يبيّنه القول التّالي: «وأبدلوا أيضاً الواو المكسورة، فقالوا: إسادة في وسادة، وإعاء في وعاء» (ابن جني، 1993).

وأما المفتوحة: «فقالوا: أناة في وناة، وأحد في وّحد، وأحم في وّحم، وأسما في وّسماء» (ابن جني، 1993)، فالأمر واضح وجلي في كل تلك الكلمات أبدلت الواو همزة لأنّها جاءت مفتوحة. هذا عن الواو أمّا عن الياء فيقول "ابن جني": «وقالوا: قائم وبائع فأبدلوا من الواو والياء وقالوا: في أسنانه أللّ يرودون يللّ فأبدلوا الياء همزة، وقالوا: رنّبال، فأبدلوا من

الياء وهمز بعضهم الشُّمَّة وهي الخليفة. وقالوا: قضاء، وسقاء، وشفاء، وكساء، وشقاء، وعلاء، وكذلك كل ما وقعت لامه ياء، أو واو طرفا بعد ألف زائدة، وأصل هذا كله: قضاي، وسقاي، وشقاي، وكساو، وشقاو، وعلاو، لأنَّها من: قضيت وسقيت، وشفيت، كسوت، والشَّقوة، وعلوت» (ابن جني، 1993) ثم يعلل "ابن جني" كل هذا ويبيِّن سببه فيقول: «فلما وقعت الياء طرفين بعد ألف زائدة ضعفتا لتطرفهما، ووقوعهما بعد الألف الزائدة المشبهة للفتحة في زيادتها» (ابن جني، 1993) فكل هذا وغيره مما سبق ذكره ما يؤكِّد إبدال الهمزة من الواو والياء لما تكونان أصليين.

– أما الثاني: في حال كونهما زائدتين فقد ذكر عدة أمثلة نذكر منها: «عَلْبَاء وحِزْبَاء وجاء عنهم: رجل عِزْهَاء، وأصل هذا كله: عَلْبَاء، وحِزْبَاء، وعِزْهَاء. ثم وقعت الياء طرفا بعد ألف زائدة فقلبت ألفا، ثم قلبت الألف همزة كما تقدَّم في قولنا كسَاء ورداء» (ابن جني، 1993)

و"ابن جني" كما عودنا فإنَّه لا يترك مجالا للغموض والابهام اللذين قد يساوران الذَّهن فهو دائما يقدِّم تعليلا أو شرحا يجعل القارئ يقبل رأيه ووجهة نظره أو على الأقل يحترمها، وهذا ما يظهر من خلال القول التالي: «فإنَّ قيل ما الدليل على أنَّ الأصل حرباي، وعلبائي بالياء دون أن يكون علباو، و حرباو بالواو نحو: درجاية، ودِعاكية. فظهور الياء في المؤنث بالهاء دلالة على أنَّ الهمزة إنَّما قلبت في حرباء وعلباء عن ياء لا محالة» (ابن جني، 1993). والذي نلاحظه من خلال كل هذا هو أنَّ كل من الياء والواو كانتا زائدتين يعني أنَّهما لم تقعان لا فاء، ولا عينا، ولا لاما كما كان عليه الامر من قبل حيث كانتا أصليين فالهمزة في حرباء جاءت زائدة وليست أصلية وهذا معروف في الاسم الممدود وهي مبدلة من الياء كما أشار الى ذلك "ابن جني" في القول السابق، والامر نفسه بالنسبة لعلباء والعلباء هو عصب العنق و«هو العصب الممتدة في العنق» (مجمع اللغة العربية، 1972)

أما الواو الزائدة التي أبدلت منها الهمزة فيرى "ابن جني" أنَّها لم تسمع عن العرب غير أنَّ النحويين قاسوها على الياء لأنَّها أختها، ثم يبيِّن ذلك القياس وكيفيته بشكل بديع تتجلى من خلاله سلاسة اللغة وبراعة الرجل وعبقريته فيقول: «وذلك أنَّك لو نسبت إلى مثل صحراء وخنفساء لقلت صحراوي، وخنفساوي، فإنَّ سميت بهما رجلا ثمَّ رَحَّمته على قولهم: "يا حارَّ" وجب بعد حذف ياء النَّسب أن تقلب الواو ألفا لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة، فتصير: صحراا، وخنفساا، ثمَّ تبدل الألف الآخرة همزة لأنَّك حركتها لالتقاء الساكنين كما فعلت ذلك في كسَاء فتقول على هذا: يا صحراء و يا خنفساء أقبل» (ابن جني، 1993)؛ وهذا تفصيل وشرح بديع بيِّن من خلاله كيف أبدلت الهمزة من الواو وفق مراحل عدَّة ذكرها "ابن جني" بشكل دقيق وبترتيب أنيق. وهذا ما ذهب إليه "الحسين مسيف" بقوله: «ويرى "ابن جني" أنَّ إبدال الواو والياء همزة يكون إذا وقعتا طرفين بعد ألف زائدة فوقوعهما بعد ألف زائدة هو الذي جعلهما طرفين ضعيفين فكان ذلك سببا في إعلالهما أمَّا إذا وقعت الهاء بعدهما لم تبلغ الهمزة منهما شيئا» (الحسين مسيف، 2021)

ويعلق "إبراهيم الشمسان على تعليل "ابن جني" حيث قال: «وتفسير "ابن جني" بمرحلتيه غير مقنع، وقد بيَّنا في مناقشة رأيه سابقا ما ينطوي عليه من إحالة.. والأولى القول بأنَّ العلتين تحذفان في هذا الموضع، وهو التَّطَرُّف بعد الألف الزائدة وهي في الأصل مهموزة، وتعويضا عن الحذف زيد في مطل الفتحة الطويلة (الألف) حتَّى أُحْتِيجَ إلى قفل المقطع الطويل فكانت الهمزة» (إبراهيم الشمسان، 2002)

ج- إبدال الهمزة من الهاء:

يقول "ابن جني" في شأن إبدال الهمزة من الهاء: «وأما إبدال الهمزة عن الهاء فقولهم: "ماء" أصلها "موه" لقولهم "أمواه" فقلبت الواو ألفا، وقلبت الهاء همزة فصار "ماء" كما ترى، وقد قالوا أيضا في الجمع "أمواه" فهذه الهمزة أيضا بدل من هاء "أمواه"» (ابن جني، 1993)، وقد أشار "ابن عصفور إلى ذات الأمر لما تحدَّث عن الإبدال "باب إبدال الهمزة من الهاء" أشار إلى نفس المثال وأضاف على ذلك قوله: «قالوا "أمواه" و "مياه" و "ماهت" الركيَّة إلى غير ذلك من تصاريقها» (ابن عصفور، 1987)

فكما هو ملاحظ أنه تمّ إبدال الهمزة من الهاء فكلّمة " ماء " أصلها " مَوَّة " لأنّهم يجمعونها على " أمواه " فحدث أن قلبت الواو ألفاً وقلبت الهاء همزة فأصبحت كما هي عليه الآن ماء فهذا مثال إبدال الهمزة من الهاء.

ويقول " ابن عصفور " أيضاً: « وأبدلت أيضاً منها في " آل " أصله " أهل " فأبدلت الهاء همزة فقليل " آل "، ثمّ أبدلت الهمزة ألفاً، فقليل " آل " (ابن عصفور، 1987) وهذا ما فصّله " ابن جني " في القول التالي: « أصلها " أهل " ثمّ أبدلت الهاء همزة فصارت في التّقدير " آل " فلمّا توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً كما قالوا: آدم وآخر وفي الفعل: آمن وآزر » (ابن جني، 1993)، وهكذا علّل " ابن جني " قلب الهاء همزة وما يتطلّب من تدرّج وانتقال من قلب الهاء همزة ثمّ قلبها ألفاً ولا يمكن أن تقلب الهاء ألفاً مباشرة وهذا ما يوضّحه القول التالي: « فإذا قيل ولم زعمت أنّهم قلبوا الهاء همزة ثمّ قلبوها ألفاً فيما بعد، وما أنكرت من أن يكونوا قلبوا الهاء ألفاً في أوّل الحال؟ فالجواب أنّ الهاء لم تقلب ألفاً في غير هذا الموضع، فيقلّس هذا هنا عليه وإنّما قلبت الهاء همزة في ماء على الخلاف فيما سنذكره في موضعه، فعلى هذا أبدلت الهاء همزة ثمّ أبدلت الهمزة ألفاً » (ابن جني، 1993). وفي السّياق ذاته يقول " إبراهيم الشّمسّان " مشيراً إلى رأي " النّعيبي ": « وقد أورد النّعيبي هذا وتوسّع في مناقشته ووصف قوله بأنّ الألف مبدلة عن هاء بالتكّلف الظّاهر، ولعلّ من الأسهل والأوضح القول بحذف الهاء والتّعويض عنها بمطل الفتحة السّابقة عليها. هـ ل ← هـ ـ ل = ءال = آل » (إبراهيم الشّمسّان، 2002).

د- إبدال الهمزة من العين:

ومن الحالات التي تبدل فيها الهمزة وكما سبق الذّكر هي أن تكون بدلاً من العين وقد أشار " ابن جني " إلى ذلك في قوله: « وفيه وجه آخر غامض أيضاً، وهو أن يكون أراد " أعديته "، فأبدل العين همزة فصارت " أَدَيْتِه "، ثمّ أبدل الهمزة ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها واجتماعها مع الهمزة التي قبلها فصارت " أديته ". على أنّ في هذا الوجه عندي بعض الضّعف وإن كان " أبو علي " قد أجازه لأنّ لم نرهم في غير هذا الموضع أبدلوا الهمزة من العين، وإنّما رأيناهم - لعمري - أبدلوا العين من الهمزة فنحن نتبعهم في الإبدال، ولا نقيسه إلا أن يضطر أمر إلى الدخول تحت القياس والقول به » (ابن جني، 1993).

إذن نلاحظ أنّ " ابن جني " قد أشار إلى موضع إبدال الهمزة من العين ولم يخصّه كما فعل مع إبدال الهمزة من الألف ومن الياء والواو في باب الهمزة ولكن عرّج عليه في باب العين؛ فيرى أنّ " أديته " أصلها " أعديته " فأبدلت العين همزة لتصير أَدَيْتِه ثمّ أبدلت الهمزة ألفاً لأنّها ساكنة ومفتوح ما قبلها، ولأنّها اجتمعت مع الهمزة التي قبلها فصارت لذلك " أديته "، ويصرّح " ابن جني " بأنّ هذا الوجه لإبدال الهمزة يعتريه شيء من الضّعف بحسب منظوره هو، رغم أنّ " أبا علي " قد أجازه ولم يرى موضعاً غير هذا قد أبدلت فيه الهمزة من العين، وبالرغم من كل هذا التعليل الذي ذكره إلّا أنّ " ابن يعيش " قد أشار إلى موضع آخر وهو يزعم أنّه لم ير غيره

لإبدال الهمزة من العين حيث قال: « لم يجيئ من ذلك إلا قولهم " أبا ب " في قولهم " عبا ب " والأصل العين لأنّ " عبا ب " أكثر استعمالاً من " أبا ب " » (ابن عصفور، 1987)، وهذا الرّأي قال فيه " ابن جني " أنّ " أبا ب " الرّاجح أن تكون همزته أصليّة وليست بدلاً (ابن جني، 1993).

ومن خلال كل ما سبق نكون قد بيّنا مواضع إبدال الهمزة عند " ابن جني " من خلال كتابه سر صناعة الاعراب أين تطرق إلى حالات إبدالها ومع الحروف التي تبدل منها.

خاتمة:

بعد هذه الإطلالة على ظاهرة إبدال الهمزة من خلال كتاب سر صناعة الاعراب تم التّوصّل إلى العديد من التّنتائج نوجزها فيما يلي:

- الإبدال هو ظاهرة صرفيّة وصوتيّة في الوقت نفسه فكونها ظاهرة صرفيّة لأنّها تتعلّق ببنية الكلمة فإبدال حرف بآخر لا شك أنّه يحدث تغييراً في بنية الكلمة وما تعلّق ببنية الكلمة فذلك مجاله علم الصّرف. أمّا كونها ظاهرة صوتيّة

لكون الإبدال يطال الحروف بعضها في الكلمة الواحدة وهذا الإبدال يعتمد على عدة معايير تتعلق بالمبحث الصوتي كتقارب مخارج الأصوات وتحديد صفاتها.

- لا تحدث ظاهرة الإبدال بشكل مباشر بل تتم عبر مراحل يكون فيها قلب للحروف وفي هذه المرحلة بالتحديد يتحقق ما بين الإبدال والإبدال من عموم وخصوص فالإبدال أعم والإبدال أخص.

- من الضروري في ظاهرة الإبدال أن تكون هناك علاقة بين الحروف المتبادلة وإلا لما تحقق الإبدال، وعلة ذلك حدوث تنافر بين الحروف وهذا عكس ما يسعى إليه الإبدال.

- من خلال دراستنا لظاهرة الإبدال يمكن القول بأن هناك نوع من التأثير والتأثر بين الحروف والأصوات وهذا ما يسهل إبدال بعضها من بعض، وذلك بالتركيز على العلاقة التناسبية التي تكون بين الحروف مما يحقق التجانس بينها فيمكن إبدالها.

- ظاهرة الإبدال تعدّ من أهمّ الظواهر الصرفية التي أقرّها المحدثون وذلك لما تحقّقه من خفة في النطق، وانسجام بين الأصوات وكل هذا من مظاهر الاقتصاد اللغوي الذي يحفظ الجهد ويدفع التعقيد.

- ظاهرة الإبدال شائعة عند العرب وهذا مما تمتاز به اللغة العربية عن غيرها وفي ذلك دليل على ثرائها وغناها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج1، 1414هـ/1993م
- 2- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة، مصر، ط2، 1492هـ/1972م
- 3- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ج1، ط1، 1996م
- 4- الفيومي المقرئ أحمد بن أحمد بن علي، المصباح المنير، دار الحديث القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م
- 5- ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف، تح حسن أحمد عثمان، المكتبة المكية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م.
- 6- إبراهيم محمد نجا، اللهجات العربية، دار حديث، القاهرة، مصر، 2008.
- 7- عبد القادر بدرون، قراءة في مصطلح الإبدال عند التهانوي في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون، مقال منشور في مجلة الآداب، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة الأخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، ع15، ديسمبر 2015.
- 8- ابن جني، الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط2، 1428هـ/2008م.
- 9- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الرباط، المغرب، 1994م.
- 10- ابن جني، سر صناعة الأعراب، دار القلم، دمشق، سوريا، تح حسن هندواي، ج1، ط2، 1412هـ/1993م.
- 11- سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، تح عبد السلام هارون، ج3، ط3، 1408هـ/1988م.
- 12- ابن عصفور، الممتع في التصريف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تح فخر الدين قبالة، ج1، ط1، 1407هـ/1987م.
- 13- الاسترليني، شرح الشافية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج3، ط1، 1402هـ/1982م.
- 14- اخلاص حسن محمد حامد، الإبدال في صيغة افتعل بين القاعدة الصرفية والعلة الصوتية، مقال منشور في المجلة العلمية كلية اللغة العربية بأسبوط، جامعة الأزهر، ع43، ج3، مايو 2024.
- 15- الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.
- 16- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية الصرفية رؤية جديدة في الصرف العربي، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 1377هـ/1977..
- 17- عمر بوبقار، ظاهرة الإبدال بين الصوامت مقارنة صوتية دلالية في ضوء علم الأصوات الوظيفي، مقال منشور في مجلة الذاكرة، كلية الآداب واللغات، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، ع5، ماي 2015.
- 18- حسام النعيمي، الدراسات اللغوية والصوتية عند ابن جني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1980م.
- 19- أبو اوس إبراهيم الشنسان، الإبدال إلى الهمزة وحروف العلة في ضوء كتاب سر صناعة الأعراب لابن جني، رسالة رقم 186، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ح22، 1423هـ/2002م.
- 20- الشيخ أحمد الحملاوي، شذا العرف في علم الصرف، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1999م.
- 21- أحمد دحمان، التوجه الصوتي والصرفي لتبدلات الهمزة في القراءات القرآنية في كتاب نظم الشاطبية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 2010-2011م.
- 22- إلياس خاتري، الهمزة بين الدرس الصوتي التقليدي والبناء الفونيتيكي الحديث؛ دراسة في الصفات والمخارج، مقال منشور في مجلة، أبولوس، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الشريف مساعدي، سوق أهراس، الجزائر، مج07، ع01، جانفي، 2020، ص: 46-60.
- 23- رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط1، 1417هـ/1996م، ص: 154.
- 24- الحسن مسيف، إبدال الهمزة من حروف العلة، عند ابن جني في ضوء الدرس اللغوي الحديث -سر صناعة الأعراب أنموذجاً -، مقال منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر، مج34، ع03، 2021، ص: 694-730.